المبحث الثاني

المناسبة والتناسب في صور المجاز

تعريف المجاز لغةً:

قال ابن منظور: «جِزتُ الطريق وجاز الموضِعُ جوازاً، وجاز به وجاوزه وأجازه غيره وجازه وجاوزه وأجاز غيره، وجازه، سار فيه وسلكه وجاوزت الموضع جوازاً بمعنى جزته. والمجازُ والمجازةُ الموضع»[1]. وقال الجرجاني: «مصدر ميمي على وزن (مفعل) معناه الجواز والتعدية من جاز الشيء إذا تعدّاه»[2] وهو اسم مكان كالمطاف والمزار، والألف فيه منقلبة عن واو، وقيل: الباب الذي يخرج منه. والمجاز مفعل من جاز فقد سبق أن المفعل يأتي للزمان والمكان والمصدر، وجاز الشيء يجوزه إذا تعدّاه، والمجاز يطلق على الممر ويقال: هذا مجاز بني فلان أي: الممر الذي يمرون منه، وسوق ذي مجاز من أسواق العرب في الجاهلية، أي: سوق ذي الممر، والسوق الذي فيه ممر ضيق يمر الناس منه[3].

وقال ابن الأثير: «أمّا المجاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة، وهو مأخوذ من جاز هذا الموضع إلى هذا الموضع إذا تخطّاه إليه. فالمجاز إذن اسم للمكان الذي يجاز فيه، كالمعاج والمزار وأشباههما وحقيقة هي الانتقال من مكان إلى مكان، فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل»[4].

---

(١) لسان العرب، مادة (جوز).

(٢) أسرار البلاغة: ٣٠٠.

(٣) البلاغة الميسرة: ١٧٠.

(٤) المثل السائر: ١٠٦.

المجاز اصطلاحاً:

وقال السكاكي: «المجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناه في ذلك النوع»[1].

وعرّفه السيوطي بقوله: «المجاز استعمال اللفظ فيما لم يوضع له»[2].

وعرّفه الجرجاني بقوله: «وأمّا المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز، وإن شئت قلت كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضع له في وضع واضعها، فهي مجاز»[3]. وهو أيضاً يعني: استعمال اللفظ في غير ما وضع له في الأصل؛ لعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وسمّي مجازاً؛ لأنه متعد من محل الحقيقة إلى محل المجاز فإذا كانت العلاقة المشابهة فالمجاز استعارة، وإلا فهو مجاز مرسل، والقرينة: هي المانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وقد تكون لفظية[4].

أقسام المجاز عند البلاغيين:

قسّم البلاغيون المجاز على قسمين: المجاز العقلي، والمجاز اللغوي، ويعد الجرجاني أول من وقف عليه، وقسّمه هذا التقسيم، فالعقلي هو الذي يعتمد

---

(١) مفتاح العلوم: ١٧٠.

(٢) الإتقان: ١٠٧/٤.

(٣) أسرار البلاغة: ٢٦٣.

(٤) ينظر: التعريفات: ٢٢٥.

على الإسناد، واللغوي نوعان: الأول: يقوم على المشابهة، ويسمى الاستعارة، والثاني: يسمى بالمجاز المرسل[1].

أقسام المجاز:

أولاً: المجاز العقلي

هو المجاز الذي يكون في الإسناد أو التركيب وقد سمي كذلك؛ لأنه متلقى من جهة الإسناد وهو المجاز العقلي[2].

وقد سماه الجرجاني (المجاز الحكمي) واشترط له شرط الإسناد في (دلائل الإعجاز)[3]، في حين سماه (المجاز العقلي)[4] في أسرار البلاغة.

وعرفه السكاكي بقوله: «هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بوساطة وضع كقوله: أنبت الربيع البقل»[5].

ويعرفه البلاغيون بأنه: «إسناد الفعل، أو ما في معناه إلى ملابس غير ما هو له بتأويل»[6]، ويقصد بما في معنى الفعل نحو المصدر، واسم الفاعل، وبالملابس ما يلابس الفعل من الفاعل، والمفعول به، والمصدر، والزمان، والسبب، وتفسير الملابسة بينهما بالعلاقة[7].

---

(١) ينظر: أسرار البلاغة: ٣٧٦.

(٢) التبيان: ١٠٦؛ والإتقان: ٣٦/٢؛ وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٩٩/٣.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٢٧-٢٢٨.

(٤) ينظر: أسرار البلاغة: ٢٧٥.

(٥) مفتاح العلوم: ١٨٥.

(٦) الإيضاح في علوم البلاغة: ١٦.

(٧) المصدر السابق: ١٦.

وقد عرّفه الخطيب القزويني بقوله: «هو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو بتأويل». وللفعل ملابسات شتى، فهو يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والسبب، فإسناد الفعل إلى الفاعل إذا كان مبنيّاً له حقيقة، وكذا إسناده إلى المفعول إذا كان مبنيّاً له. أمّا إسناد الفعل إلى غيرهما لمشابهته لما هو له في ملابسة الفعل فمجاز، كقولهم في المفعول به: عيشة راضية، وماء دافق، وكقولهم في عكسه: سيل مفعم، وفي المصدر: شعر شاعر، وفي الزمان: نهاره صائم، وليله قائم، وفي المكان: طريق سائر، ونهر جار، وفي السبب: بنى الأمير المدينة[1].

ويسميه البلاغيون أيضاً المجاز الإسنادي والإسناد المجازي ويكون إلى سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره أو بإسناد المبني للفاعل إلى المفعول أو بالعكس.

علاقات المجاز العقلي:

من المعلوم أنّ هناك علاقات للمجاز العقلي يمكن أن نوردها كما يأتي:

١- العلاقة المفعولية (ما بني للفاعل وأسند إلى المفعول):

وفيها يسند المبني للفاعل إلى المفعول، وإن شئت فقد يسند الوصف المسند للفاعل إلى المفعول. نحو: سرني حديث الوامق فقد استعمل اسم الفاعل، وهو الوامق، أي (المُحبُّ) بدل الموموق، أي: المحبوب، فإنّ المراد: سررت بمحادثة المحبوب[2].

وفي قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[3]. قال الشيخ رشيد: «أي

---

(١) الإيضاح لمختصر تلخيص: ٢٠.

(٢) ينظر: الدلالة والمعنى: ٣٤٥.

(٣) سورة الحاقة، الآية: ٢١.

مرضية، فاستعمل اسم الفاعل موضع اسم المفعول، على طريقة المجاز العقلي وذلك من خصائص اللغة، للمبالغة في الوصف»[1].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[2]. قال السمين الحلبي: «إنّ (عَاصِمَ) بمعنى معصوم، وفاعل قد يجيء بمعنى مفعول نحو: (ماء دافق) أي: مدفوق، وأنشد:

بطيء العتامِ رخيم الكلا م فأمسى فؤادي به فاتنا[3]

أي: مفتوناً، و(من) يراد بها المعصوم، والتقدير: لا معصوم اليوم من أمر الله إلاّ من رحمه الله، فإنه يعصم»[4].

٢- علاقة الفاعلية: (ما بني للمفعول وأسند إلى الفاعل)

وفيما يسند الوصف المبني للمفعول إلى الفاعل أي: يستعمل اسم المفعول مكان اسم الفاعل، نحو: (جعلت بيني وبينك حجاباً مستوراً) أي: ساتراً، فقد جعل الحجاب مستوراً، مع إنه هو الساتر، ولكن الذي حدث أنه جيء بالمسند مبنيّاً للمفعول (مستور) ثم أسند إلى الفاعل.

وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾[5]، فالمجاز في (مأتيّاً)، وعلاقته الفاعلية، فالوعد لا يكون مأتيا، وإنما هو آت، فأسند اسم المفعول إلى الفاعل.

والعرب تقول: (عيش مغبون). فالمجاز في كلمة (مغبون) وعلاقته

---

(١) أولى ما قيل: ٨٧/٩.

(٢) سورة هود، من الآية: ٤٣.

(٣) لم أعثر على قائله.

(٤) الدر المصون: ١٠٢/٤.

(٥) سورة مريم، الآية: ٦١.

الفاعلية، فالعيش لا يغبن؛ لأنّ الإحساس بالغبن من صفات الأحياء، فالعيش غابن، وقد أسند المبني للمفعول إلى الفاعل[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[2]. قال السمين الحلبي: «قوله: ﴿مَّسْتُورًا﴾... أنه بمعنى فاعل كقولهم: مشؤوم، وميمون، بمعنى: شائم ويأمن، وهذا كما جاء اسم الفاعل بمعنى المفعول»[3].

وذكرها الشيخ رشيد في تفسيره قائلاً: «ومن مباحث اللفظ أنّ اسم المفعول هنا استعمل بدل صيغة اسم الفاعل، مبالغة في مدلوله على طريق المجاز العقلي»[4].

٣- علاقة الزمانية (ما بني للفاعل وأسند إلى الزمان):

تحدث هذه العلاقة عندما يسند الفعل وشبهة للزمان.

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[5]. قال السمين الحلبي: «قوله: ﴿أَلِيمٍ﴾ إسناد الألم إلى (اليوم) مجاز لوقوعه فيه لا به. وقال الزمخشري: «فإذا وصف به العذاب» قلت: مجاز، لأنّ الأليم في الحقيقة هو المعذب، ونظيرهما قولك: نهارك صائم»[6].

---

(١) ينظر: بحوث منهجية: ١٢٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٥.

(٣) الدر المصون: ٣٩٥/٤.

(٤) أولى ما قيل: ١٧٦/٥.

(٥) سورة هود، الآية: ٢٦.

(٦) الدر المصون: ٩١/٤؛ وينظر: الكشاف: ٣٦٧/٢.

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾[1]. فقد نسب فيه الفعل ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ إلى الظرف ﴿يَوْمًا﴾ لوقوعه.

وقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[2] فاليوم لا يعصف، وإنما عصوف ريحه يكون فيه، ففي الإسناد مجاز عقلي، علاقته الزمانية.

وقال أبي البقاء الرندي[3]:

هي الأمور كما شاهدتها دُوَلٌ من سَرّهُ زَمن ساءتهُ أزمانُ

فقد أسند الفعلين «سرَّ، وساء» إلى الزمن[4]، وهو لم يفعلهما، كما هو معلوم بالعقل، بل كانا واقعين فيه، وكان هذا الإسناد على سبيل المجاز.

٤- العلاقة المكانية:

هي: إسناد الفعل إلى ما هو مكان إقامة الفاعل، أو ظرف مكانه بدلاً من الفاعل، نحو قول إسماعيل بن عمار الأسدي[5] الطويل:

بكت دار بشرٍ شجوها إذ تبدّلت هلال بن مرزوق ببشر بن غالب

فقد أسند الفعل «بكت» إلى المكان «الدار»، وهي ظرف مكان

---

(١) سورة المزمل، الآية: ١٧.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١٨.

(٣) شعره، جمعه وحقّقه على أصول مخطوطة ومطبوعة: د. إنقاذ عطا الله محسن العاني، مجلة الأستاذ، كلية التربية- جامعة بغداد، العدد: ٢٤، عام ٢٠٠١م.

(٤) ينظر: علوم البلاغة، المراغي: ٣٠٣.

(٥) شعره- إسماعيل بن عمار الأسدي- أخباره وشعره، جمع وتحقيق ودراسة: حميد آدم ثويني، مجلة أبحاث جامعة صلاح الدين- العراق، العدد ٢، ٣، السنة الثانية، عام ١٩٩٠م.

الفاعل، وهي لا تبكي، بل الذي يبكي هو ساكنها.

وتحدث العلاقة المكانية عندما يسند الفعل وشبهه للمكان.

كما في قول الشاعر:

يغني كما صرحت أيكة وقد نبه الصبح أطيارها[1]

فقول الشاعر: «يغني كما صدحت أيكة» هنا مجاز عقلي، فقد أسند فيه الفعل إلى غير فاعله الحقيقي، ذلك لأنّ الأيكة لا تغني، وإنما هي مكان الطيور التي تصدح، فالعلاقة مكانية.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾[2] قال الشيخ رشيد: «وفي كلمة (مقيم) مجاز عقلي؛ لأنها في الحقيقة صفة لإطلال تلك القرى، بمعنى أنها باقية إلى الآن، ولكن وصل بها السبيل أي: الطريق كما يقال نهر جار فيوصف بصفة الماء فيه... والمراد من قوله: (وإنها لبسبيل مقيم)، إنّ إطلالها ظاهرة على هذا الطريق»[3].

٥- العلاقة السببية (ما بني للفاعل وأسند إلى السبب مجازاً):

وهي إسناد الفعل إلى غير فاعله[4]. وفي هذه العلاقة المجازية يسند الفعل، أو ما في معناه إلى سببه، بدل من إسناده للفاعل. كما في قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[5]. قال الشيخ رشيد: «أي: ضلوا باتباعها

---

(١) الأيكة: الشجرة. صدح الطائر: رفع صوته بالغناء.

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٧٥-٧٦.

(٣) أولى ما قيل: ١١٥/٥.

(٤) ينظر: بحوث منهجية: ١٢٠.

(٥) سورة إبراهيم، من الآية: ٣٦.

وعبادتهم لها، تقربهم إلى الله زلفى. وفي إسناد الإضلال إليه تجوز معروف مثله في خصائص اللغة ويسمى في عرف البلاغة الإسناد إلى السبب»[1].

وقال البيضاوي: «فدلك سألت منك العصمة واستعذت بك من إضلالهن وإسناد الإضلال أليست باعتبار السببية»[2].

وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾[3]، قال السمين الحلبي: والشراء هنا مجازٌ من الاستبدال بمعنى أنهم لّما تركوا الهدى، وآثروا الضلالة، جُعلوا بمنزلة المشترين لها بالهدى، ثم رُشِّح هذا المجاز بقوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ فأسند الربح إلى التجارة، والمعنى: فما ربحوا في تجارتهم...[4].

وقال المرقّش الأكبر [5] من البسيط:

إنّا لمن معشر أفنى أوائلهم ... قيل الكماة ألا أين المحامونا

فقد نسب الفعل (الإفناء) إلى سبب وقوعه وهو (قول الكماة) أي: الشجعان، ويريد بقولهم: (هل من مبارز)؟ وهذا القول ليس بفاعل للفعل، ولا مؤثر فيه، وإنما هو سبب لوقوعه فقط.

ثانياً: المجاز اللغوي:

يعني استعمال اللفظ الواحد المنقول مما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقةٍ إلى غير ما وضع بقرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي، والعلاقة: هي

---

(١) أولى ما قيل: ٤٩/٥.

(٢) أنوار التنزيل: ٣٥١/٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦.

(٤) ينظر: الدر المصون: ١٢٧/١-١٢٨.

(٥) ديوان المرقشي: ٨١.

المناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، وقد تكون استعارة، أو تشبيهاً بين المعنيين، أو بقرينة غير المشابهة -عقلية إجمالاً- فيكون مجازاً مرسلاً، وهذه العلاقات بنوعيها -المشابهة وغيرها- هي المناسبة الخاصة بين المعنى المنقول عنه، والمنقول إليه[1]، ويسمى هذا النوع بالمجاز المفرد المرسل.

علاقات المجاز اللغوي:

هنالك علاقات كثيرة للمجاز اللغوي، لاشك في ذلك، وفيما يأتي بيان وعرض لأهم هذه العلاقات وهي:

١- السببية (ذكر السبب وإرادة المسبّب):

وهي تسمية السبب باسم المسبب، كونه مؤثراً فيه، فيذكر لفظ السبب، ويراد منه المسبب، نحو: رعت الماشية الغيث -أي النبات؛ لأنّ الغيث أي: (المطر) سبب فيه. وقرينته لفظه وهي (رعت)؛ لأنّ العلاقة تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه، ونحو: لفلان عليَّ يد: تريد باليد: النعمة، لأنها سبب فيها.

ونحو قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾[2]، قال السمين الحلبي: «قوله: ﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ استثناء مفرغ، لأنّ ما قبله عاملاً يطلبه، وهذا من مجاز الكلام، جعل ما هو سبب للنار ناراً كقولهم: (أكل فلان الدم) يريدون الديّة التي يسببها الدم، قال:

فلو أنّ حيّـاً يقبـل المـال فديـة
لسُقنا إليه المـال كالـسيل مُفعمـا

(١) ينظر: علوم البلاغة: ٣٠١.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ١٧٤.

ولكن أبى قـــوم أجيـــب أخـــوهم

رضا العار واختاروا على اللبن الدّما[1]»[2]

وهذا رأي ابن جزي الذي قال: (أي: أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار فوضع السبب موضع المسبب»[3].

وقال تعالى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ ﴾[4]. قال الشيخ رشيد: «ذكر البنيان وأراد سببه بطريقة المجاز المرسل أي: سبب بنيانهم يبقى لها قابلية الإدراك: يبين بذلك أنّ نفاقهم وكفرهم راسخ فيهم لا يمكن تحويلهم عنه فسيموتون وهم كفار...»[5].

٢- المسببية (ذكر المسبب وإرادة السبب):

ما يقال في علاقة في المسببية وهي عكسها ويعني أن نقلب الوضع ونعكس الأمر، أي: أنّ نذكر المسبب ويكون المقصود هو السبب، وتسمية المسبّب باسم السبب[6] وهو أنّ يكون المنقول عنه مسبباً، وأثراً لشيء آخر وذلك فيما إذا ذكر لفظ المسبب، وأريد منه السبب.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾[7]. فالمجاز في كلمة ﴿رِزْقًا ۚ﴾؛ لأنّ الرزق لا يترل

---

(١) البيت في الحماسة: ١/١٢٥.

(٢) الدر المصون: ١/١٤٤.

(٣) التسهيل: ١/١٢٧؛ وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣/١٨٤.

(٤) سورة التوبة، من الآية: ١١٠.

(٥) أولى ما قيل: ٤/١٦٩.

(٦) ينظر: الإيضاح: ١٥٥.

(٧) سورة غافر، الآية: ١٣.

من السماء، ولكن الذي يترل هو الماء، وذكر سبحانه الرزق؛ لأنه مسبب عن المطر والمطر سببه، فالمجاز مرسل والعلاقة مسببية[1].

وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[2]، ذكر السمين الحلبي أوجه متعددة في تفسير الآية منها: «أنّ المعنى ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي: خذلناهم، ولم نوقفهم فنشأ عن ذلك هلاكهم، فعبّر بالمسبب عن سببه، وهو باب واسع»[3].

٣- الجزئية (إطلاق الجزء وإرادة الكل):

وهي كون المذكور ضمن فيها شيء آخر، وذلك بإطلاق الجزء، وإرادة الكل[4]. قال ابن فارس: ومن سنن العرب الاقتصار على ذكر بعض الشيء وهم يريدونه كله، فيقولون: «قعد على صدر راحلته ومضى» ويقول قائلهم: «الواطئين على صدر نعالهم»[5] نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[6]. قال السمين الحلبي: «قوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾... وقيل: يعود على المكنوزات ودل على هذا جُزؤهُ المذكور؛ لأنّ المكنوز أعمّ من النقدين وغيرهما، فلما ذكر الجزء دل على الكل، فعاد الضمير جمعاً بهذا الاعتبار»[7] وهذا ما ذكر

---

(١) ينظر: بحوث منهجية: ١٢٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤.

(٣) الدر المصون: ٣/٢٣٣.

(٤) ينظر: أسرار البيان، العماري: ١٢٢.

(٥) الصحابي: ١١٢.

(٦) سورة التوبة، من الآية: ٣٤.

(٧) الدر المصون: ٣/٤٦٠.

ابن عادل الدمشقي[1].

وكذا قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾[2]. قال الشيخ رشيد: «ومعنى الخشوع الذلة والاستكانة من شدة الخوف. وقد أعاد الضمير للقلوب فأضاف إليها الأبصار، لما بينهما من ملابسة الاجتماع في جسم واحد. والإضافة تصح في أدنى ملابسة. ويجوز أن يكون إعادة الضمير إليها، باعتبار أصحابها، على طريقة المجاز المرسل من ذكر الجزء وإرادة الكل فأضاف إليها الأبصار؛ لأنها جزء من الأصحاب»[3].

٤- الكلية (إطلاق اسم الكل على الجزء):

وهي تسمية الجزء باسم الكل[4] وتحدث هذه العلاقة حين يطلق الكل، ويراد به جزء منه. نحو قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[5] فالمجاز في ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾ فالإنسان لا يتكلم بفمه، ولكنه يتكلم بلسانه، وقد عبّر بالكل (الأفواه)، وأراد الجزء (اللسان) فالمجاز مرسل والعلاقة كلية[6].

وقوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾[7]. قال السمين الحلبي: «والخرطوم: الأنف، وهو هنا عبارة عن الوجه كله، من التعبير عن الكل بالجزء؛ لأنه أظهر

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٧٩/١٠.

(٢) سورة النازعات، من الآية: ٨-٩.

(٣) أولى ما قيل: ١٤٨/٩.

(٤) ينظر: الطراز: ٤٠/١؛ وشروح التلخيص: ٥٥٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

(٦) ينظر: بحوث منهجية: ١٢٨-١٢٩.

(٧) سورة القلم، الآية: ١٦.

ما فيه وأعلاه»[1].

وقال الفراء: «أي: سنسمه سمة أهل النار، أي: سنسوّد وجهه، فهو وإن كان الخرطوم قد خُصّ بالسمة فإنه في مذهب الوجه، لأنّ بعض الوجه يؤدي عن بعض»[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾[3]. قال رشيد: «والمراد من السورة آيات في موضوع خاص في السورة من ذكر الكل وإرادة الجزء»[4].

وكذلك قول عبد الباقي العمري[5] الطويل:

وكم قد أسلنا أنفساً دون بيضهم وليست على غير الظبات تسيل

فقوله: «نفوسنا» يراد به «دماؤنا» فهو مجاز مرسل علاقته الكلية؛ لأنّ النفس كل يتضمن الدم وغيره، والقرينة قوله: (سيل)؛ لأنّ السيلان من صفات الدم[6].

---

(١) الدر المصون: ٣٥٤/٦.

(٢) معاني القرآن: ١٢٦/٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٨٦.

(٤) أولى ما قيل: ١٥٩/٤.

(٥) ديوانه، المسمى الترياق الفاروقي، مطبعة حسن أحمد الطوخي- دب الإنسيّة- مصر، أواخر المحرم، عام ١٢٨٧هـ-٢٥٧.

(٦) ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة: ١٤٣/١.

٥- اعتبار ما كان:

هو النظر إلى الماضي: أي: تسمية لشيء باسم ما كان عليه، نحو: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ أي: الذي كانوا يتامى ثم بلغوا، فاليتامى: مجاز مرسل، علاقته اعتبار ما كان[١]. ونقول أيضاً كان يعبر عن أمر من الأمور بشيء لا يتفق وحالته الحاضرة الماثلة، ولكن ينظر إلى ما كان عليه.

نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[٢] فالمجاز في ﴿مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ ومن المعلوم، أنّ الإنسان إذا جاء ربه ومثل للحساب لا يكون مجرماً؛ لأنّ أعماله تنقطع وتنتهي بحوثه، ولكن الآية عبّرت بالمجاز بالنظر إلى ما كان عليه هذا العبد من الإجرام في دنياه، فالمجاز مرسل والعلاقة اعتبار ما كان[٣].

٦- اعتبار ما سيكون:

وهو النظر إلى الشيء بما سيكون عليه في المستقبل، وذلك فيما إذا أطلق اسم الشيء على ما يؤول إليه[٤] وفيها يسمى الشيء باسم ما يؤول إليه.

نحو قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[٥]. فالمجاز في كلمة الخمر، فالخمر لا تعصر فهي سائل، وإنما يعصر العنب الذي يتحول إلى خمر، فالمجاز مرسل والعلاقة اعتبار ما سيكون.

---

(١) ينظر: الدلالة والمعنى: ٣٥١.

(٢) سورة طه، الآية: ٧٤.

(٣) ينظر: بحوث منهجية: ١٣٠.

(٤) ينظر: علوم البلاغة: ٢٦١.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٣٦.

وقول حسان بن ثابت رضي الله عنه الوافر:

فصار المؤمنون بـــدار خُلـــد ومكرمـــة بهـــا ظـــلٌّ ظليـــلُ

فقد عبّر عمّا سيصيرون إليه من الجنة، وما فيها من النعيم بأنهم قد صاروا إليه وكان أصل الكلام: «إنهم سيصيرون بتلك الدار التي هي جنة الخلد ويتنعمون بثوابها» فعبّر عن الشيء بما سيؤول إليه مجازاً، والعلاقة: اعتبار ما يكون.